ورود الناسخ الحرفي (لعلّ) في القرآن الكريم

د. محمد السر محمد علي

أستاذ مساعد بقسم النحو والصرف معار بالمملكة العربية السعودية

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على النبيّ الأمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد :

فإن التآليف والتصانيف في لغة التنزيل بجميع مستوياتها (نحواً وصرفاً ودلالة وبياناً) تتوالى وتزدهر لا تتأخر - بحال - عن التآليف في علوم القرآن الأخرى كالتفسير والفقه والقراءات ، بل تتحد معها وتأتلف مبرزة منزلة القرآن العظيمة الكامنة في مبناه ومعناه ، فلا غرو - والأمر كذلك - أن تتبارى الأقلام وتُعمل العقول وتُشحذ الهمم في استجلاء كنه هذه العظمة ، وبيان ضروب ذلك الإعجاز في هذا النظم الفريد . ونحسب - يقيناً - أن كل دراسة إنما تشرف بارتباطها بالقرآن العظيم ، لا سيما إن كانت تؤصّل للغة بربطها بمنبعها الأصيل الصافي ، وإني لأرجو أن تكون هذه الدراسة ((ورود الناسخ الحرفي " لعلّ " في القرآن الكريم دراسة تأصيلية في النحو والدلالة)) من الإضافات النافعة في هذا الباب.

أهمية الدراسة :

إن أهمية هذه الدراسة تبرز في البحث عن أسرار عظمة هذه اللغة داخل سياقها الأصيل " النص القرآني " تأكيداً لحقيقة أن النّص القرآني يستوعب كل قضايا اللغة ، الأمر الذي يحتم على دارس القرآن الإلمام بلغته على اختلاف مستوياتها ليتدبره كما ينبغي .

أما مشكلة البحث:

فتكمن في الأسئلة الآتية :

أ- هل للناسخ الحرفي "لعلّ " خصوصية تميزه عن بقية النواسخ الحَرفية ؟

ب- كيف عُلّلت دلالة الرجاء لـ "لعلّ" في القرآن الكريم ؟

ج- ما الفرق بين ورود " لعلّ" في الشعر العربي وبين وروده في النص القرآني؟

أما هدفُ هذه الدراسة :

فينصب في الإسهام في قضية التأصيل لهذه اللغة ، وذلك بربطها بالنص القرآني تقييساً ، وتقعيداً ، واستشهاداً ، وذلك حفظاً لتراث هذه الأمة من الضياع بربطه بالنص القرآني الذي تكفل المولى عزّ وجل بحفظه .

وقد تضمن هذا البحث مقدمة حوت (أهمية البحث ، ومشكلته وأهدافه) ثم عولجت موضوعات هذا البحث في مباحث خمسة على النحو التالي :

المبحث الأول : تركيب "لعلّ" واللغات فيها .

المبحث الثاني : معاني "لعلّ" ودلالاتها .

المبحث الثالث : عمل "لعلّ"

المبحث الرابع : خبر "لعلّ"

المبحث الخامس : لعلّ وإفادة التعليل في القرآن الكريم وفيه مسألتان

المسألة الأولي : "لعلّ" بمعني "كي" في وسط الآي من الذكر الحكيم

المسألة الثانية : إفادة "لعلّ" التعليل في فواصل الآيات .

والذي يجب أن يؤكد في هذا المقام أن المعالجة في كل هذه المباحث إنما كانت في ضوء النص القرآني وهذا ظاهر في عنوان الدراسة ومتنها .

المبحثُ الأوّلُ

تركيب "لعلّ" واللغات فيها

جاء في اللسان (..... لعلّ كلمة شك وأصلها علّ ، واللام في أولها زائدة ، قال مجنون بني عامر: يقول أناس علّ مجنون عامر.. يروم سلوّاً قلت أنّي لما بيا[1] ... وهي كلمة رجاء وطمع وشك ، وقد جاءت في القرآن بمعنى كي...)[2]

"ولعلّ" من حروف المعاني الرباعية فهو ـ بذا ـ ليس على الأصل في نوعه ، فأشبه بهذه الزيادة الأسماء وهو شبه وضع .

ومذهب أكثر النحويين أن "لعلّ" حرف بسيط، وأن لامه الأولى أصلية . وقيل هو حرف مركب ولامه الأولى لام ابتداء ، وقيل زائدة لمجرد التوكيد ، بدليل تركها وقولهم : (علّ) في " لعلّ" ، وهذا مذهب المبّرد وجماعة من البصريين وابن جنّي [3]. وأنشدوا قول الشاعر: [4]

علّ صروف الدهر أو دولاتها يدلننا اللمــة مـن لماتهـــا

([1]) انظر ديوان مجنون ليلى ، برواية أبي بكر الوالبي ، دراسة وتعليق : يسري عبد الغني ، منشورات : محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٠ هـ ص ١٢٥ .

([2]) انظر لسان العرب ، لمحمد بن مكرم بن علي ، أبو الفضل جمال الدين بن منظور الأنصاري ، (ت :٧١١هـ) دار صادر ، بيروت ، ط،١٤١٤هـ ، ٦٠٧/١١ (لعل) .

([3]) المقتضب ، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي ، أبو العباس المبّرد (ت:٢٨٥هـ) تحقيق : محمد عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتب ، بيروت ، ٧٣/٣ ، وانظر : الخصائص ، أبو الفتح عثمان بن جنّي (ت : ٣٩٢هـ) الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط ٤ ، ٣١٧/١ .

([4]) البيت ورد بلا نسبة في الخصائص ٣١٧/١ ، وانظر : اللسان (لعل) ، وأنشده الفراء دون عزو في معانيه ، ٢٣٥/٣ ، وورد البيت شاهداً على أن "لعلّ" حرف جر في شرح شافية ابن الحاجب ، لمحمد بن الحسن الرضي الاستراباذي (ـ ٦٨٦هـ) تحقيق وضبط : محمد نور الحسن وآخرين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٣٩٥هـ ، ١٢٩/٤ والشاهد فيه (علّ) ، إذ الأصل فيه "لعلّ" و "يدلننا" من : أدالنا الله من عدونا إدالة وهي الغلبة ، واللمة : الشدة .

أما الكوفيون فعندهم " اللام " الأولى في "لعلّ" أصلية ؛ لكونها حرف ، وحروف الجر كلها أصلية ، وكون اللام من الحروف التي لا تزاد إلا شذوذاً في كلمات معدودة من تلك التي تقبل الزيادة كالأسماء والأفعال ، فكيف يحكم بزيادتها فيما لا يجوز فيه الزيادة بحال وهو الحرف ، وقد رجّح صاحب الإنصاف رأي الكوفيين في هذه المسألة بعد إيراد حجج الفريقين في كلام مطوّل ، معللاً حذفها في الأشعار لكثرة استعمالها فيها ، وحذفها أولى من حذف العين ، إذ تجتمع ثلاثة أمثال إن حُذفت العين [1].

ويدعم كلام ابن الأنباري في ترجيح رأي الكوفيين في هذه المسألة أمور منها:ـ

أولا : حذف حرف من الكلمة لا يعدّ ـ بحال ـ دليلاً على زيادته فيها ، فالأصول تحذف أحياناً .

ثانياً: كون (علّ) لغة في "لعلّ" وهو أمر ثابت ، فاللغات في "لعلّ" اثنتا عشرة لغةً منها (علّ).

ثالثاً : زعمُ البصريين أنّ ثبوت اللام في "لعلّ" يخرجها من أوزان الفعل الرباعي(فعلل) فليس بحجة ، فلعلّ حرف والحروف أوزانها قدّ لا تطابق أوزان الأفعال ، وإلا فما وزن "إلّا " مثلاً ؟ فهي خارجة عن أوزان الثلاثي التي حددها البصريون (فَعَل وفَعُل وفَعِل) ، وخارجة ـ كذلك ـ عن وزن الرباعي (فعلل) .

رابعاً : أنّ (لعلّ) لم تأت ـ على الإطلاق ـ (علّ) في أفصح كلام عرفته البشرية وهو كلام الله تعالى ، فقد وردت "لعلّ" في التنزيل (ثلاثاً وثلاثين ومئة) مرةٍ كلها " لعلّ " بخلاف الشعر فالتجُوز في الشعر بابه واسع بسبب الأوزان . وبذا يصبح حكم "

([1]) لمزيد من الإيضاح في هذه المسألة يُنظر : الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين ، لعبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الأنصاري ، أبي البركات ، كمال الدين الأنباري (ت:٥٧٧) المكتبة العصرية ، ط ١ ، ١٤٢٤هـ ، ١/١٨١.

الزجاجي " بأنّ "لام لعلّ " في أولها مزيـــدة بإجماع النحويين [1] محل نظر .

والذي يمعن النظر في " لعلّ " خاصّة دون سائر أخوات (إن) يجد أنها لا تلحقها نون الوقاية (لعلني) إلا نادراً، ولما كان القصد التأصيل للأقيسة والقواعد النحوية بربطها بمنبع الفصاحة الأصيل (القرآن الكريم) الذي يأتي نظمه - على الدوام- وفق أقوى الوجوه في المسالة، يصبح غير مستغرب عدم ورود "لعلني" ملحقة بنون الوقاية في كل القرآن جرياً على الوجه النادر الذي حكاه النحاة، بل كلها (لعلّي) -بغير نون- نحو قوله تعالى: ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّيٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [2]. ومثل ذلك (لعلّي) في الآيات: (١٠)من سورة طه و (٢٩) من سورة القصص، و(٣٦) من سورة غافر، و (١٠٠) من سورة المؤمنون.وفي "لعلّ" لغات منها: (لعلّ و علّ، ولعنّ، وعنّ ولأنّ، وأنّ، ولغَنّ، وغنّ، وعنّ ، ولعلتّ...) [3]. وقد ورد من هذه اللغات في الشعر (علّ) ومنه البيت الذي ورد آنفاً:

عـلّ صروف الدهر أو دولاتـها يدلنـنا اللمـة مـن لماتـــها [4]

كما ورد منها "لعنّ " في قول الفرزدق :

ألســتم عائجـين بـنا لعنـــا نــرى العرصـات أو أثـر الخيام[5]

---

(1) انظر : اللامات ، لعبد الرحمن بن إسحاق البغدادي الزجاجي ، أبو القاسم (ت ٣٣٧) تحقيق مازن المبارك ، دار الفكر ، دمشق ط ٢ ، ١٤٠٥هـ ، ص ١٣٥ .

(2) سورة يوسف ، الآية : ٤٦.

(3) انظر : الجنى الداني في حروف المعاني ، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبدالله بن علي المرادي المصري المالكي(ت:٧٤٩) تحقيق ، فخر الدين قباوة ، والأستاذ : محمد نديم فاضل ، ط ١ ، بيروت ١٤١٢هـ ، ٥٨٢/١ .

(4) انظر ص ٣ من هذا البحث والقول عن زيادة "لام" لعلّ

(5) البيت من قصيدة للفرزدق يمدح بها هشام بن عبد الملك ، انظر ديوان الفرزدق ٨٣٥شرح وضبط وتقديم : الأستاذ علي فاعور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ط١ ،١٤٠٧هـ ، ص ٦٦٧، وانظر : اللامات للزجاجي ص ١٣٦ ، والإنصاف في مسائل الخلاف ١٨٢/١

ولم ترد في القرآن الكريم من هذه اللغات عدا (لعلّ) ، اللهم إلا ما جاء من قراءة الفتح في (أنّها) من قوله تعالى : ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [1] وقرئت بالكسر " إنها " [2].

فمن قرأ بالفتح (أنها) جعل الخطاب للمؤمنين ، فكأنه قال : لعلها إذا جاءت لا يؤمنون ، قال سيبويه : ((وأهل المدينة يقولون (أنّها) فقال الخليل هي بمنزلة قول العرب : ائت السوق أنّك تشتري لنا شيئاً ، أي لعلك....) [3] .

ومن قرأ بالكسر فعلى الابتداء والكلام تم عند قوله : وما يشعركم ، وقيل أن "لا" في " لا يؤمنون" مع فتح همزة (أنّها) إنما هي لتأكيد الجحد كما قال : ﴿ وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ [4] وهو قول ابن زنجله [5].

وذكر الزجاجي أنّ من شواهد سيبويه على مجيء "أنّ" المفتوحة بمعني : "لعلّ" قول الشاعر :

قلتُ لشيبان ادنُ من لقائه أنّا نغدّي القوم من شوائه [6]

أي " لعلنا " نغدي .

([1]) سورة الأنعام الآية :١٠٩

([2]) قرأ " إنها " بالكسر ابن كثير ، وأهل البصرة ، وأبو بكر عن عاصم ، وقرأ الآخرون بالفتح " أنها " ، انظر : حجة القراءات ، عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة (ت:٤٠٣هـ) تحقيق : سعيد الأفغاني دار الرسالة ٥٦٥/١ ، وانظر : معالم التنزيل في تفسير القرآن ، للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد البغدادي (ت : ٥١٠هـ تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ١٤٢٠هـ ، ١٥١/٢ .

([3]) انظر : الكتاب ، لسيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر أبو بشر (ت : ١٨٠ هـ) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون مكتبة الخانجي القاهرة ، ط ٣ ١٤٠٨هـ ١٢٣/٣

([4]) سورة الأنبياء الآية : ٩٥ .

([5]) انظر حجة القراءات ٢٦٦/١ .

([6]) البيت ورد في (اللامات) للزجاجي من غير عزو ١٣٧/١ ، ولم أعثر عليه في كتاب سيبويه ، ورده الطبري إلى أبي النجم العجلي انظر : تفسير الطبري ، جامع البيان لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير ، أبي جعفر الطبري (ت /٣١٠هـ) تحقيق | د.عبد الله بن عبد المحسن التركي ، دار هجر ، ط ١ ، ١٤٢٢هـ ، ٤٨٧/٩.

المبحث الثاني

معاني " لعلّ " ودلالاتها

أوردت المصنفات في حروف المعاني دلالات " لعلّ " وأشهر هذه المعاني وأكثرها شيوعاً " الترجّي " نحو: لعلّ الله يرحمنا ، والإشفاق نحو: لعلّ العدو يقدم، والفرق بينهما ظاهر ، قال سيبويه (وإذا قلت " لعلّ " فأنت ترجوه أو تخافه في حال ذهاب) [1].

ولما كانت هذه الدراسة تؤصل للنحو بربطه بكتاب الله عز وجل فلا بد من وقفه عند هاتين الدلالتين لـ "لعلّ" في القرآن الكريم، إذ يبرز السؤال المهم وهو: هل يجوز الترجّي والإشفاق في حق الله عزّ وجل ؟ قال الراغب: (لعلّ: طمع وإشفاق، وذكر بعض المفسرين أنّ لعلّ من الله واجب ، وفسّر في كثير من المواضع بـ " كي)[2].

ومن هنا تظهر تأويلات المفسرين واللغويين ومعربي القرآن في نحو قوله تعالى: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [3].

فجلّة أهل التفسير واللغة أنّ تأويل هذه الآية ونحوها يكون بصرف معنى " لعلّ " إلى المخاطب ، أي أنّهم عدّوا الإشفاق والرجاء ـ في ذلك ونحوه ـ منسوباً إلى الذي يدور بصدده الكلام ، و " لعلّ " في الآية إطماع لموسى -عليه السلام- مع هارون أي فقولا له قولاً لينا راجيين أن يتذكر، قال سيبويه (... اذهبا أنتما في رجائكما وطمعكما و مبلغكما من العلم ....) [4]

([1]) الكتاب لسيبويه ١٤٨/٢ .

([2]) انظر : المفردات في غريب القرآن ، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت :٥٠٢هـ) تحقيق : صفوان عدنان الداودي ، دار العلم ، الدار الشامية ، دمشق – بيروت ، ط ١ – ١٤١٢هـ ، ٧٤١/١ .

([3]) سورة طه الآية : ٤٤

([4]) الكتاب لسيبويه ٣٣١/١.

وتوسع المبّرد وهو يعرض لقوله تعالى : ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ ﴾[1] في نفي ما لا يليق إثباته للذات الإلهية من نحو أبنية التعجب والتفضيل ، قال : (... ولا يقال الله عزّ وجل تعجب ولكنه خُرج على كلام العباد أي هؤلاء ممن يجب أن يقال فيهم ما أسمعهم وما أبصرهم في ذلك الوقت، ومثل هذا قوله:﴿ لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ الآية و "العلّ " إنما هي للترجي ولا يقال ذلك لله ولكن المعنى ـ والله أعلم ـ اذهبا أنتما على رجائكما وقولا القول الذي ترجوان به ويرجو به المخلوقون تذكر من طالبوه)[2].

ومن دلالات " لعلّ " عدا الترجي والإشفاق مستنبطاً من النصوص مجازاً - إن جاز التعبير ـ الاستفهام وهو معنى قال به الكوفيون وتبعهم ابن مالك وجعل منه ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴾[3]، وقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) لبعض الأنصار وقد خرج إليه مستعجلاً " لعلنا أعجلناك "[4].

والبصريون يرون غير ذلك والآية ـ عندهم ـ ترجّ ، والحديث إشفاق[5] وعلى مذهب الكوفيين يكون تقدير الكلام في الآية : وما يدريك أيزكي ؟ وفي الحديث : أأعجلناك ؟

([1]) سورة مريم ، الآية :٣٨

([2]) المقتضب : للمبرد ١٨٣/٤.

([3]) سورة عبس ، الآية ٣

([4]) الحديث ورد في صحيح البخاري ، باب : من لم ير الوضوء إلا من المخرجين ، الحديث رقم ١٨٠ ، ٤٧/١ ، وفي صحيح مسلم باب ، إنما الماء من الماء ، حديث رقم ٣٤٥ / ٢٦٩/١ .

([5]) انظر : أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ، أبو محمد جمال الدين بن هشام (ت:٧٦١هـ) تحقيق : يوسف الشيخ محمد البقاعي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ٣١٦/١ ، وانظر : شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ، علي بن محمد بن عيسى ، أبو الحسن نور الدين الأشموني (ت : ٩٠٠ هـ) دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٩هـ ٢٩٧/١ وانظر : شرح التصريح على التوضيح ، خالد بن عبد الله بن أبي بكر الجرماوي الأزهري (ت : ٩٠٥ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ – ١٤٢١ هـ ، ٢٩٦/١ .

والدليل على كون " لعلّ " للاستفهام في هذا المقام جواب الأنصاري على كلام الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقوله : نعم . وما قيل في الآية ' والحديث يمكن أن يقال في قوله تعالى : ﴿ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴾[1] إذ التقدير :..... لا تدري أألله يحدث بعد ذلك أمراً ؟ ومن ذلك ما جاء في تفسير الطبري أنّ قوماً حملوا " لعلّ " في قوله تعالى: ﴿ لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾[2] على الاستفهام أي ، اذهبا لعله يتذكر أي ، هل يتذكر أو يخشى ؟[3].

وكذا قوله تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ ﴾[4] إذ لا يحتمل الكلام هنا على التوقع ، لأنّ توقع ترك التبليغ لا يليق بمقام النبوة ، كما لا يصلح الترجي في هذا المقام ، فحمله بعضهم على الاستفهام ، قال القرطبي: (.... فالكلام معناه الاستفهام، أي ، هل أنت تارك سبّ آلهتهم كما سألوك ؟ ....)[2] وعدّه بعضهم من الاستفهام الاستنكاريّ وهو جيّد[5].

وإجراء الكوفيين " لعلّ " مجرى " هل " حمل أبا حيّان على القول بأنّ " لعل " من المعلقات لأفعال القلوب، وعدّ قوله تعالى:﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾منه[6].

([1]) سورة الطلاق ، الآية : ١

([2]) سورة طه ، الآية : ٤٤

([3]) انظر : تفسير الطبري ، جامع البيان ، بتحقيق : أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، ط ١٤٢٠هـ ، ٣١٣/١٨-٣١٤

([4]) سورة هود ، الآية : ١٢

([2])انظر : تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري (ت: ٦٧١هـ) تحقيق أحمد البردوني ، وإبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٣٨٤ هـ ، ١٢/٩.

([5]) انظر : إعراب القرآن وبيانه ، محي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت : ١٤٠٢ هـ) ، دار الإرشاد للشؤون الجامعية ، حمص دار اليمامة ، دمشق. بيروت ، ط ٤ – ١٤١٥هـ ، ٣٢٥/٤ .

([6]) سورة الأحزاب ، الآية : ٦٣

فقال : (فكما يقع التعليق عن هل كذلك عن لعل)[1].

ويدخل في هذا الباب ـ قياساً على ما سبق ـ ما جاء من " لعلّ " عقب أفعال الدراية والعلم من نحو قوله تعالى : ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾[2] وقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾[3]. قال صاحب الدُر المصون: (الظاهر أنّ لعلّ في هذه الجملة معلّق لأدري ، والكوفيون يجرون الترجي مجري الاستفهام)[4]، وذكر أن النحويين لا يعدون " لعلّ " من المعلّقات مع ظهور تعليقها هنا ، وكأنه ـ بذا ـ يناصر شيخه أبا حيان في القضية .

و " لعلّ " بمعنى الظنّ لم أقف عليه إلا عند صاحب اللسان قال : (وتكون ظناً كقولك لعلّي أحجُ العام ، ومعناه ، أظنني سأحجُ كقول أمري القيس ، لَعَلَّ مَنايانا تَبَدَّلْنَ أَبْؤُسا)[5].

ومما ذكر من دلالات " لعلّ " إفادتها التشبيه ومن ذلك قوله تعالى:﴿ لَعَلَّكُمْ

([1]) انظر: البحر المحيط ، محمد بن يوسف الشهر بأبي حيان الأندلسي (ـ : ٧٥٤ هـ) ، تحقيق : صدقي محمد جميل ، دار الفكر ، بيروت ١٤٢٠هـ ، ٤٧٤/٧ .

([2]) سورة الشورى ، الآية : ١٧.

([3]) سورة الأنبياء ، الآية : ١١١.

([4]) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم ، المعروف بالسمين الحلبي (ت :٧٥٦ هـ) ، تحقيق : د. أحمد الخراط ، دار القلم ، دمشق ٢١٧/٨-٢١٨ .

([5]) البيت من الطويل ، وصدره : (وبدلت قرحاً داميا بعد صحةٍ) ، والبيت في الديوان (فيا لك من نُعمي تحولن أبوسا) انظر ديوان امرئ القيس ، ضبط وتصحيح الأستاذ / مصطفى عبد الشافي ، منشورات : محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ٥ ، ١٤٢٥هـ ، ص ٨٧ ، وإن صحت رواية الديوان فلا شاهد ؛ وانظر لسان العرب٤٧٤/١١ ؛ وشرح الأشموني على ألفية ابن مالك ٢٢٤/١ ، وانظر : خزانة الأدب ولباب لسان العرب ، عبد القادر بن عمر البغدادي (ت : ١٠٩٣ هـ) ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٤١٨ هـ ، ط ٤ ، ٣٣١/١ .

تَخْلُدُونَ ﴾[1] وفي دلالة " لعلّ " وجـوه كثيرة في هذه الآية إذ احتملت أغلب وجوه دلالات " لعل " غير أن الاتفاق حول إفادتها التشبيه ، كان ظاهرا ، فبعد أن ذكر أبو حيان بعضاً من معاني "لعلّ" ـ عدا التشبيه ـ استدرك قائلاً :(أو يكون المعنى يشبه حالكم حال من يخلد ، فلذلك بنيتم واتخذتم)[2] ، ويعضد وجه التشبيه في" لعلّ " في هذه الآية قراءة أُبي:(كأنكم تخلدون)[3] ونص كثير من المفسرين واللغويين والنحاة على إفادة " لعلّ " التعليل ، حتى أنّ بعضهم ردّ جميع ما في القرآن من " لعلّ " للتعليل[4].

وقد رأيت أن أعالـج هذا الموضوع [إفادة لعلّ التعليل] في المبحث الأخير من هذه الدراسة بشيء من التفصيل والتوضيح ، لأهميته – بحول الله تعالى ـ

([1]) سورة الشعراء ، الآية : ١٢٩.

([2]) البحر المحيط ، لأبي حيان ١٧٨/٨ .

([3]) انظر : معاني القرآن ، لأبي جعفر النحاس ، أحمد بن محمد (ت : ٣٣٨ هـ) تحقيق : محمد علي الصابوني ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ١٤٠٩هـ ، ٩٣/٥ ، وانظر : معالم التنزيل ، للبغوي ٤٧٤/٣ ، وانظر : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله (ت : ٥٣٨ هـ) ، ٣٢٦/٣ ، وانظر : البحر المحيط ، لأبي حيان ١٧٨/٨، وانظر : البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي) ت : ٧٩٤ هـ) تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط ، ١٣٧٦ ، دار إحياء الكتب .

([4]) البرهان ، للزركشي ٣٩٤/٤

المبحث الثالث

عمل " لعلّ "

تعمل " لعلّ " عمل " إنّ " وأخواتها بذات الشروط وهو عكس عمل " كان " وأخواتها ، أي ، نصب الأوّل اسماً لها ورفع الثاني خبراً لها وهذا مذهب البصريين ، أما الكوفيون فلا يرون لها عملاً في الخبر وإنما هو باقٍ على رفعه الذي كان له قبل دخول هذه النواسخ .

وعلة عمل " لعلّ " وأخواتها النواسخ في الاسم والخبر قوة مشابهة " لعل" وأخواتها النواسخ للفعل (لفظاً ومعنى) ، فهي على وزنه ، وبنيت على الفتح كما الفعل ، واختصت بالاسم كما الفعل ، وتدخلها نون الوقاية مثله ، وفيها معنى الفعل ، فمعنى " لعلّ " ـ مثلاً ـ [ترجيت] ، فلما كان للفعل مرفوع ومنصوب كان لها مرفوع ومنصوب ، وقّدم منصوبها على مرفوعها ؛ لكون عملها فرعاً وتقديم المنصوب على المرفوع فرع ، وليعلم أنّها ليست أفعالاً مثل (كان وأخواتها) ، وإنما هي حروف أشبهت الأفعال[1].

ولئن كانت عّلة عمل (إنّ وأخواتها) لمشابهتها الفعل ـ كما تقدم ـ فإنّ هذه العلة تقوى في " لعلّ " ؛ لأنها تشبه أفعال الرجاء والمقاربة (عسى وأخواتها) ، ويظهر شبه " لعلّ " بتلك الأفعال ـ في القرآن خاصة ـ في كون أخبارها لم ترد إلا جملاً عدا خمسة مواضع وسنعالج ذلك عند الحديث عن خبر لعلّ .وقد حمل النحاة (عسى) على " لعلّ " في أمرين : **الأوّل** :الجمود وعدم التصرف ، قال ابن جني وهو يتحدث عن عدم تصرف عسى:(إنما

---

[1]) الإنصاف في مسائل الخلاف ، لأبن الأنباري ١٤٥/١

منعت التصرف لحملهم إيّاها على لعلّ)[1].

الثاني: العمل، حيث حملوا (عسى) العاملة عمل (كاد) على " لعلّ " في العمل فنصبوا بها الاسم ورفعوا الخبر ، وذلك إذا اتصلت بضمير النصبنحو (عساكا) ومنه قول الشاعر :

ولـي نفسٌ أقول لها إذا ما تنازعني : لعلـي ، أو عسـاني[2]

وتعليل اتصال ضمير النصب بـ(عسى) هو مذهب سيبويه قال:" فلو كانت الكاف مجرورة لقال (عساى) ولكنهم جعلوها بمنزلة " لعلّ "[3].

وكما حملت (عسى) على " لعلّ " فقد أجـاز قـوم إعمال " لعلّ " بدخول (ما) الحرفية عليها حملاً على (ليت)؛ لاشتراكها في أنهما يغيران معنى الابتداء ، ولكونهما للإنشاء وهو الأمر ـ ذاتـه ـ الـذي جعلهم ينصبون جواب " لعل " إجراءً لها مجرى (ليت)، ويظهر ذلك في قراءة النصب في (فأطلعَ)[4] من قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ ﴾[5].

فقد لمح في " لعلّ " معنى التمني من قرأ (فأطلّعَ) وهو مذهب الكوفيين في نصب جوابها حملاً لها على (ليت) وتبعهم الزمخشري في قراءة النصب في (تنفعه)[6] من قوله تعالى:

([1]) الخصائص ، لابن جني ٣١٢/١

([2]) البيت لعمران بن حطان وهو من الوافر ، انظر : الكتاب ٣٧٥/٢ ، وانظر : الخصائص ٢٧/٣ ، والمفصّل في صنعة الأعراب ١٧٦/١ وانظر البصائر والذخائر ، لأبي حيان التوحيدي على بن محمد بن العباس (ت : ٤٠٠هـ) تحقيق : د.وداد القاضي ، دار صادر ، بيروت ط ١ ، ١٤٠٨ ، ١٤٣/٥ ، والخزانة ٣٣٧/٥ .

([3]) الكتاب ، سيبويه ٣٧٥/٢

([4]) قراءة (فأطلع) . بالنصب . رواية حفص بن عاصم والباقون (فأطلعُ) بالرفع ، انظر : الحجة في القراءات السبع ، الحسين بن أحمد بن خالويه (ت:٣٧٠هـ) ، تحقيق : عبد العال سالم مكرم ، دار الشروق ، بيروت ، ط٤ ، ١٤٠١ هـ ، ٣١٥/١

([5]) سورة غافر ، الآيتان : (٣٦ – ٣٧)

([6]) والنصب قراءة عاصم في المشهور والأعرج وأبي حيوة ، انظر : معاني القرآن ، أبو زكريا يحي بن زياد الفراء (ت : ٢٠٧ هـ) ، عالم الكتب ، بيروت . لبنان / ط٢ ، ١٤٠٣هـ ، والبحر ٤٢٧/٨ .

﴿ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴾[1] فنصب (تنفعه) جواباً لـ (لعلّ) تشبيهاً للترجي بالتمني ، والبصريون يأبون ذلك . وأجاز بعض الكوفيين نصب الاسم والخبر جميعاً بـ " لعلّ " وبعضهم أجازه في (ليت) خاصة[2] وبذا يظهر أنّ من أجازه في " لعلّ " إنما حملها على " ليت " وذكر ابن هشام أن يونس زعم أنّ النصب بـ " لعلّ " لغة لبعض العرب وحكى : (لعلّ أباك منطلقاً) وتأويل ذلك عند ابن هشام على إضمار (يُوجد) ، وعند الكسائي على إضمار (يكون)[3]

وعلى ذلك التأويل فإنّ (منطلقاً) ليست خبراً لـ (لعلّ) بل هي مفعول ثانٍ لـ (يُوجد) على تقدير ابن هشام ، أو هي خبر يكون على تقدير الكسائي . ولم يرد من ذلك شيء في القرآن ، أي نصب الجميع بـ (لعلّ) ، وسمع رفع (لعلّ) للاسم في نحو : (لعلّ لها عذرٌ وأنت تلومُ) ، قيل هذا أول لحن سمع بالبصرة[4]، وهذا محتمل لتقدير ضمير الشأن كما في الحديث الشريف : (إنّ من أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون)[5] أي ، إنّه ، وعلى ذلك يكون التقدير ، لعله لها عذرٌ .

الجر بـ (لعلّ) في لغة عقيل :

الجر بـ (لعلّ) في لغة عقيل كأنه جريٌ على الأصل في عمل الحرف المخصوص بالاسم وهو (الجر) إلاّ أن يشابه الفعل فينصب[6]. ومن شواهد جر" لعلّ " للاسم ـ على هذه اللغة :

([1]) سورة عبس ، الآية : ٤

([2]) الجنى الداني ١/٣٩٢ـ٣٩٣

([3]) انظر : /غنى اللبيب عن كتب الأعاريب ، لعبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبدالله بن يوسف ، جمال الدين ، أبن هشام (ت : ٧٦١هـ) تحقيق : د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله ، دار الفكر . دمشق ، ط٦ ، ١٩٨٥م ، ٣٧٧

([4]) انظر : مغنى اللبيب ، لأبن هشام الأنصاري ١/٣٧٨-٣٧٩ .

([5]) الحديث رواه البخاري في باب اللباس ، رقم (٨٩) ، وفي صحيح مسلم في اللباس والزينة برقم : (٩٨).

([6]) الجنى الداني ١/٢٦ .

علّ صروف الدهر أو دولاتها يدلنـنا اللمـة مـن لمتهـا [1]

وكذا قول الآخـر :

ادع أخرى وارفع الصوت جهرة لعلّ أبي المغوار منك قريب [2]

غير أن بعضهم أنكر هذه اللغة وعـدّ " لعلّ " في قوله : (لعلّ أبي المغوار) مخففة، واسمها ضمير الشأن ، واللام المفتوحة لام الجـر ، ولأبي المغوار منك قريب جملة في موضع الخبر ، وردّ المرادي هذا التخريج وضعّفه من أوجـه :

الأول – أنّ تخفيف (لعلّ) لم يسمع في هذا البيت .

الثاني – أنّ " لعلّ " لا تعمل في ضمير الشأن .

الثالث – أنّ فتـح لام الجر مع الظاهر شاذ [يريد " لأبي "] [3]

قال ابن هشام : (ومن فتح " يريد لام لأبي " فهو على لغة من يقول : المال لزيد (بفتح اللام) وهذا تكلف كثير ولم يثبت تخفيف " لعل " ثم هو محجوج بنقل الأئمة أنّ الجر بـ " لعل " لغة قوم " بأعيانهم " [4]. يريد (بني عقيل) .

والذي يترجّح لديّ في هذه المسألة أنّ الجر بـ " لعلّ " أحسن ما يقال في تفسيره إنّه لغة فهذا يبعدنا عن التكلف والبحث عن الحجج التي قد تكون غير مقبولة لاسيما وأنّ

([1]) البيت ورد في مبحث (اللغات في لعلّ) من هذا البحث ، ووجه الاستشهاد به هنا هو عمل (لعل) الجرّ ، وفي تفسير جامع البيان بنصب (صروف) ، انظر : جامع البيان للطبري ٣٧٨/٢١ ، وانظر : معاني القراءات للأزهري محمد بن أحمد بن الأزهري أبو منصور) ت:٣٧٠ هـ) ، مركز البحوث في كلية الآداب ، جامعة الملك سعود / ط١ /١٤١٢هـ ، ٣٤٧/٢.

([2]) البيت لكعب بن سعيد الغنوي ، يرثي أخاه هرما وكنيته " أبو المغوار " ، والشاهد فيه جر (أبي) بـ "لعلّ" وهي لغة "عقيل" ، انظر: الكشاف ٤٥٦/١ ، وانظر : شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : عبدالله بن عبدالرحمن العقيلي الهمزاني المصري (ت:٧٦٩هـ) ، بتحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار التراث القاهرة ، ط٢ /١٤٠٠هـ ٥٠٤/٣ ، وانظر شرح الأشموني ٤٥٤/١

([3]) انظر : الجنى الداني ٥٨٦/١

([4]) انظر : مغني اللبيب ، لابن هشام ٣٧٧/١.

اختلاف اللغات في العوامل أمر مسنود بالشواهد ، فقد جُروا بـ" كي " كما جرّت " هذيل " بـ" متى "، قال شاعرهم :

شربن بها البحر ثم ترفعت متى لججٍ خضرٍ لهن نئيج[1]

ونجدهم أطلقوا وقصروا وكلّ ذلك يؤكد سعة هذه اللغة ، وانتشار قبائلها وقوة السماع فيها .

المبحث الرابع: خبر لعلّ

أفردت لخبر لعلّ مبحثاً لما انفرد به خبر لعل على بقية أخبار الحروف الناسخة بعامة ولما اختص به هذا الخبر في لغة التنزيل ببعض القضايا بخاصة ، يضاف إلى ذلك أن خبر " لعلّ " غير مقطوع بوقوعه فهو موضع شك بخلاف خبر " إنّ " وأنّ[2].

وبالجملة فإنّ الناظر في خبر " لعل " في التنزيل يلحظ الآتي :

- **أولاً** : أنّ تقديم اسم " لعل " وتأخير خبرها لازم في جميع آي الذكر الحكيم خلافاً للاستثناء الحاصل في بقية النصوص ـ عدا القرآن ـ من نحو (لعلّ فيها ـ أوهنا ـ غير البذي) ، وإنّما حتّم الترتيب ـ على الأصل ـ في النص القرآني كون خبر " لعلّ " في جميع الآيات لا يخرج عن أمرين :

الأول : أن يكون اسم " لعلّ " ضميراً متصلاً بـ " لعلّ " وهو الغالب إذ ورد

([1]) البيت لأبي ذؤيب الهذلي يصف سحابة ، انظر : ديوان الهذليين بتحقيق أحمد الزين ومحمودأبو الوفا ، الناشر : الدار القومية للطباعة والنشر . القاهرة ، ١٣٨٥هـ . ١٩٨٥ م ، ٥٢/١ ، وانظر : الخصائص ٨٧/٢ ، والدر المصون ٦٠١/١٠ والنئيج : الصوت العالي المرتفع ، والشاهد في البيت قوله (متى لجج) ، حيث استعمل (متى) جارة على لغة قوم هذيل ، انظر : شرح بن عقيل عن ألفية ابن مالك ، مكتبة التراث ، طبعة ١٤٢٠هـ ، ٣٣٩-٣٤٠.

([2]) انظر : النحو الوافي ، عباس حسن (ت : ١٣٩٨ هـ) دار المعارف ، ط ١٥ ، ٦٣٥/١.

ذلك في (ست وعشرين ومئة) آية ، من نحو (لعلّه – لعلّي ـ لعلّكم ـ لعلهم) وامتناع التقديم هنا ظاهر السبب .

الثاني : كون اسم " لعلّ " ظاهراً وخبرها جملة صريحة وهو قوله تعالى :﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾[1]وقوله تعالى : ﴿ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴾[2]،أو يكون الخبر مؤولاً بجملة[3]وهو قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾[4].

ثانيا : جواز تصدير خبر " لعلّ " بـ " أن " المصدرية نحو : (لعلك أن تسارع في الخيرات فتلق الجزاء) واقتران خبرها بـ "أنّ " حملاً على عسى كثيراً نحو:(لعلّك يوماً أن تلّم مُلمّةٌ)[5]. قال المبّرد : (فإن قال قائل في الشعر : لعلّ زيـــداً أن يقوم ، جاز ، لأن المصدر يدل على الفعل ،فمجاز المصدر هنا كمجاز الفعل في باب عسى).

وذكر البيت[6]. وكثرة الاقتران بحمله على " لعلّ " إنما هو بالنسبة لحرف التنفيس ، إذ يقترن خبر " لعلّ " بحرف التنفيس قليلاً بالنسبة إلى اقترانه بـ " أن " ومنه :

([1]) سورة الشورى ، الآية : ١٧

([2]) سورة الطلاق ، الآية : ١

([3]) هذا الوجه اختاره صاحب الجدول في إعراب القرآن من بين وجوه أخرى وفيه تعليل لكون الساعة مؤنثاً وقريب ، مذكر، انظر: الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه ، تصنيف : محمود صافي ، دار الرشيد – دمشق ط ٤ ، ١٤٢١هـ ، ٣٠/٢٥.

([4]) سورة الشورى ، الآية : ١٧ .

(5) البيت لمتمم نويره اليربوعي ، وعجزه (عليك من اللائي يدعنك أجدعا) والشاهد فيه جواز اقتران خبر (لعلّ) بـ " أن" في الشعر ، انظر المفضليات ، للمفضل بن محمد بن يعلي بن سالم الضبي (ت:١٦٨هـ) تحقيق : أحمد محمد شاكر ، وعبد السلام هارون دارالمعارف ، القاهرة ط٦ ، ٢٧٠/١ ، وانظر المفصل للزمخشري ٤٠١/١

([6]) المقتضب ، للمبرد ٧٤/٣

فقولا لها قولاً رقيقاً لعلّها سترحمني من زفرة وعويل [1]

وباستقراء خبر " لعلّ " في القرآن الكريم نجده لم يقترن بـ " أنّ " بل جاء على الغالب في عدم الاقتران بها إلا تاويلاً في قراءة النصب في (أطّلع)[2] من قوله تعالى : ﴿ لَعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ ﴾[3] عند من خرّج نصب (فأطلع) [بالنصب] على تقدير " أن " مع " أبلغ " خبر " لعلّ " إذ يعد عطفاً على خبر " لعلّ " " أبلغ " المقترن بـ " أن " معنى ، أي ، لعلّي أن أبلغ فأطلع ، وأغلب المعربين أن قراءة النصب في [فأطلع] لكونه وقع جواباً لـ " لعل" التي أشبهت " ليت " في التمنّي . على أن قراءة الجمهور (فأطلعُ) بالرفع[4].

- **ثالثاً** : وقوع خبر " لعلّ " ـ في غير القرآن ـ فعلاً ماضياً وهو جائز غير ممتنع ،ولكنه ليس في كثرة المضارع ، ومن الشواهد على وقوع الماضي خبراً لـ " لعلّ "قول الشاعر :

وبدّلت قرحاً دامياً بعد صحة لعلّ منايانا تحولن أبؤسا [5]

وقال الفرزدق من الطويل :

أعد نظراً يا عبد قيس لعلّما أضاءت لك النارُ الحمار المقيدا [1]

([1]) البيت ورد في المغني بلا نسبة ، انظر : مغني اللبيب ، لأبن هشام ٣٨٠/١ ، انظر : خزانة الأدب ، للبغدادي ٣٤٥/٥.

([2]) وهي قراءة الأعرج والسلمي وحفص ، انظر : الحجة في القراءات السبع ٣١٥/١ وانظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ، (ت : ٥٤٦هـ) تحقيق : المجلس العلمي بفاس ١٤٠٧ هـ ، ٥٦٠/٤ وانظر : خزانة الأدب . ٣٤٥/٥

([3]) سورة غافر ، الآية : ٣٦

([4]) انظر : تفسير الطبري ٣٨١/٢١ ، وحجة القراءات السبع ٣١٥/١ ، وانظر : الكشاف للزمخشري ١٦٧/٤ ، وانظر : المفصل للزمخشري ٤٠٠ .

([5]) البيت من الطويل وهو لامرئ القيس ، وقد ورد في المبحث الثاني من هذه الدراسة شاهدا على مجيء : لعل " بمعنى الظن ، وهنا يعد شاهداً على وقوع خبر لعل فعلاً ماضيا وهو (تحولن) ، انظر : المبحث الثاني من هذا البحث .

وجاء في الحديث أنّ الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : (ما يدريك لعلّ الله اطّلع على أهل بدر فقال : اعملوا ماشئتم)[٢].

وقد ذكر صاحب البرهان أن الرّماني نصّ على منع وقوع الماضي خبراً لـ " لعل " [٣].

ولما كنا نؤصلّ لهذه الدارسة بمعالجة هذا الناسخ الحرفي " لعلّ " في القرآن الكريم بعرض أوضاعه وأحواله في النص القرآني بما في ذلك أحوال خبره ، فإنه قد تبين أنّ خبر " لعل " لم يأت ـ في جميع القرآن ـ فعلاً ماضياً ومع كون مجيئه ماضياً غير ممتنع ، غير أنه ليس في كثرة المضارع كما ثبت ذلك بالشواهد السابقة ، الأمر الذي يؤكد ـ على الدوام ـ مجيء النص القرآني وفق أقوى الوجوه وذلك وجه من وجوه إعجاز لغة التنزيل .

- **رابعاً** : لم ترد أخبار " لعلّ " في القرآن الكريم إلا جملاً عدا خمسة مواضع ورد الخبر في كل منها مفرداً وهي قوله تعالى : ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ ﴾[٤] وقوله تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ ﴾[٥] وقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾[٦] ، وقوله تعالى ﴿ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾[٧] ، وقوله تعالى :

---

[1]) البيت ورد في ديوان الفرزدق (فربما) بدل (لعلّما) وإن صحت روايته .كذلك . فلا شاهد فيه ، انظر ديوان الفرزدق ص ١٦١ ، وانظر : شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ٣١٢/١ ، وانظر : شرح التصريح على التوضيح ٣١٦/١ ، وشرح شذور الذهب ٣٦١/١ ، والمفصل ٣٨٩/١ ، والمغني ٣٨٠/١ ، والشاهد فيه ورود الماضي (أضاءت) خبراً للعل وهو غير ممتنع .

[٢] الحديث في صحيح البخاري ، رقم (٣٨١) ، باب : إذا اضطر رجل إلى النظر في شعور أهل الذمة ٧٦/٤ ، وفي صحيح مسلم ، رقم (٣٦) باب : فضائل أهل بدر (رضي الله عنهم)

[٣] انظر : البرهان ، للزركشي ٣٩٥/٤، وانظر : الإتقان ، للسيوطي ٢٦٢/٢

[٤] سورة هود : الآية : ١٢

[٥] سورة الكهف ، الآية : ٦

[٦] سورة الأنبياء ، الآية : ١١١

[٧] سورة الشعراء ، الآية : ٣

﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾[٨] ، وقد ورد في كل هذه المواضع مفرداً غير أن خبر لعل وقع اسم فاعل في ثلاثة مواضع من الخمسة مواضع وهي (تارك ، باخع ، مكررة) وصفة مشبهة في الآيـة الخامسة وهي كلمة (قريب) ، ومصدرا في آيـة الأنبياء : (فتنة). ووقوع الخبر اسم فاعل في ثلاثة المواضع السابقة إنما يقربه من المضارع بخاصة ، فمضارعة المضارع لاسم الفاعل ثابتة دلالة وعملاً ، قال سيبويه:(وحروف الإعراب للأسماء المتمكنة ، وللأفعال المضارعة لأسماء الفاعلين التي في أوائلها الزوائد الأربع الهمزة ، والتاء ، والياء ، والنون) .[١]

وقد ألمح المبّرد إلى ذلك حين فسر (يحكم) المضارع باسم الفاعل (حاكم) وهو يعرض لقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾[٢] ، قال : أي، حاكم ، وعنده إنما دخلت اللام على المضارع تشبيهاً له بالاسم .[٣]

أما وقوع الخبر كلمة " قريب " في سورة الشورى الآية السابعة عشر ، فقد جعل بعضهم[٤] " قريب " خبراً لمبتدأ محذوف تقديره (إتيانها) ، تحاشيا لتذكير خبر " لعلّ " " قريب " مع اسمها المؤنث (الساعة) ، ويبقى ـ بذا ـ خبر " لعل " ليس مفرداً بل جملة (إتيانها قريب) من المبتدأ والخبر ، أما كون الخبر مصدراً في (فتنة) فليس خافيا تأويل المصدر الصريح بـ (أن والفعل) .

---

[٨] سورة الشورى ، الآية : ١٧

[١] الكتاب ، لسيبويه ١٤/١

[٢] سورة النحل ، الآية : ١٢٤

[٣] المقتضب ، للمبرد ٣٧٤/٣

[٤] انظر : الجدول في إعراب القرآن ، ٣١/٢٥

المبحث الخامس

" لعلّ " وإفادة التعليل في القرآن الكريم

وفيه مسألتان :

المسألة الأولى : " لعلّ " بمعنى (كي) في وسط الآي .

لم أشأ أن أعالج دلالات التعليل لـ " لعلّ " في موضعه في المبحث الثاني من هذه الدراسة ، وإنما أفردت لذلك مبحثاً قائما بذاته تظهر فيه خصوصية هذه الدلالة ، فالناظر في " لعلّ " في القرآن الكريم يجدها على ضربين ، ضرب ورد في وسط الآي من الذكر الحكيم ، ، وآخر ورد في فواصل الآيات ، وسوف لن أفصّل الحديث عن " لعلّ " بمعني " كي " في وسط الآي ؛ لأنها لم تشكل ظاهرة كما الحال في " لعلّ " التي ألمح المفسرون ومعربو القرآن فيها إلى معنى التعليل في وسط الآيات . قال الراغب : (لعلّ طمع وإشفاق... وفُسر في كثير من المواضع بـ كي)[1] ، ومن ذلك قوله تعالى :﴿ لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴾[2]،فبالإضافة إلى دلالة الاستفهام التي أوردها الطبري في تفسيره ، فهي عند قوم دالة على التعليل مجردة من الشك بمعنى لام التعليل ، قال الأخفش : (وقال " لعله يتذكر " نحو قول الرجل لصاحبه " أفرِغ لعلّنا نتغدّى " والمعنى : " لنتغدى " و(حتى نتغدّى)[3].

([1]) انظر مفردات الراغب ٧٤١/١ ، وانظر : لسان العرب ٦٠٧/١١

([2]) سورة طه ، الآية : ٤٤ .

([3]) انظر : معاني القرآن ، أبو الحسن الأخفش الأوسط (ت : ٢١٥ هـ) ، تحقيق : د. هدى محمد قراعة ، مكتبة الخانجي . القاهرة ، ط١ ، ١٤١١ هـ ، ٤٤٣/٢

والذي عطف (فأطّلع) ـ في قراءة النصب ـ على (أبلغَ) بتقدير " أن " قبلها ، أي ، " لعلي أن أبلغَ " فكأنما جعل " لعلّ " بمعنى اللام التعليلية ، ونصب الفعل بأن مضمرة بعد لام التعليل أمر غير خافٍ .

و " لعل " بمعنى " كي " هو رأي الكوفيين وتبعهم الأخفش وحسنه الطبري وهو يعرض لتفسير الآية السابقة: ﴿ لَعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴾ [1] ذاكراً أن قوماً حملوا " لعلّ " على الاستفهام ، وبعضهم حملها على معنى " كي " قال:(.... ولكلا هذين القولين وجهٌ حسن ومذهب صحيح) [2] ، ودعم الذين يرون " لعلّ " بمعنى " كي " رأيهم بقول الشاعر :

وقلتم لنا كفوا الحروب لعلنا نكفّ ووثقتم لنا كل موثق [3]

والمعنى : كفوا الحرب لنكفّ ، ولو كانت " لعل " هنا شكاً لم يوثقوا لهم كل موثق [4].

وإفادة " لعلّ " التعليل ظاهرة في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ لِفِتۡيَٰنِهِ ٱجۡعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ فِي رِحَالِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَعۡرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ ﴾ [5].فعلةُ جعل بضاعتهم في رحالهم ليعرفوا حقها فيرجعوا ردّاً للجميل الذي أسدى إليهم، نصّ على ذلك غير واحد من المفسرين .

المسألة الثانية : إفادة " لعلّ " التعليل في رؤوس الآي :

([1]) سورة طه ، الآية : ٤٤

([2]) انظر : تفسير الطبري ، جامع البيان ٣١٤/١٨ .

([3]) البيت ورد في تفسير الطبري بلا نسبة ، وكذا أورده القرطبي دون أن ينسبه إلى أحد ، وورد في الحماسة البصرية بلا نسبة، انظر : تفسير الطبري، جامع البيان ٣٦٤/١ ، وانظر : تفسير القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ٢٢٧/١ ، وانظر : الحماسة البصرية ، على بن أبي الفرج بن الحسن ، صدر الدين ، أبو الحسن البصري (ت"٦٥٩ هـ) ، تحقيق مختار الدين أحمد ، عالم الكتب . بيروت ، ٢٥/١

([4]) انظر : جامع البيان ٣٦٤/١ ، وانظر الجامع لأحكام القرآن ٢٢٧/١ .

([5]) سورة يوسف ، الآية : ٦٢

وقوع " لعلّ " في فواصل الآيات في القرآن الكريم أمر لافت ، وذلك بمجيئها ناسخاً حرفياً للجمل التي شكلت فواصل كثير من الآيات ، ولئن عدّ المفسرون واللغويون ومعربو القرآن إفادة التعليل معنى في " لعل " بعامّة فإن هذا القول يترجّح ويقوى في " لعلّ " الواقعة في رؤوس الآيات بخاصة . فبدراسة " لعلّ "في هذه المواضع يظهر الآتي :

- ي الكوفيين وتبعهم الأخفش وحسنه الطبري **أولاً** :

ورود " لعلّ " في رؤوس الآيات والفواصل في خمسة عشر ومئة موضع من جملة ثلاثة وثلاثين ومئة موضع لـ " لعلّ " في جميع القرآن .

- **ثانياً** :ما وقع خبراً لـ " لعلّ " في هذه الفواصل من الأمور الممكنة المرجّوة الحصول ، بل مما يرغب فيه لجلب منفعة (دنيوية أو أخروية) نحو (تتذكرون ـ تتقون ـ تُرحمون ـ تسلمون ـ تشكرون ـ يهتدون ...) .
- **ثالثاً** : سُبقت " لعلّ " بالإنشاء في نحو : (فليستجيبوا ـ ولينذروا ـ فاجعل لي) كما صدرت بـ الأخبار في نحو : (واتخذوا ـ إني آنست ناراً ...)
- **رابعاً** : عطفت الجمل التي صُدرت بـ " لعلّ " على ما قبلها في أحد عشر موضعاً جلها ـ أي الجمل السابقة ـ صدرت بلام التعليل ، نحو قوله تعالى : ﴿ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[1] وهذا يشي ـ بجلاء ـ إلى التعليل في " لعلّ " في هذه المواضع . قال الزمخشري : (فقوله: ﴿ وَلِتُكْمِلُوا۟ ﴾ علة الأمر بمراعاة العّدة ، و ﴿ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ﴾ علة ما علم من كيفية القضاء، " ولعلكم

([1]) سورة البقرة ، الآية ١٨٥

﴿تَشْكُرُونَ﴾ علة الترخيص والتيسير)[1].

- **خامساً** :كل الجمل الفعلية التي وقعت أخباراً لـ " لعلّ " في الفواصل تصلح تعليلاً لحكم يسبقها نحو : (لعلكم تتقون ، لعلهم يرجعون ، لعلكم تشكرون ، لعلهم يهتدون...) إذ يجوز تقديرها بـ : (لتتقوا ـ ليرجعوا ـ لتشكروا ـ ليهتدوا....) وهذا مما يقوى وجه التعليل في " لعلّ " هنا خاصة .
- **سادساً** :مما سبق تبدو وجاهة مذهب من حمل " لعلّ " على التعليل في كثير من مواضعها في الذكر الحكيم ، وهو معنى أثبته الكسائي والأخفش[2]وحملاً على ذلك ما جاء في القرآن من نحو: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[3]و ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[4]أي ، (لتشكروا وتهتدوا).

والذي أراه ـ والله أعلم ـ أنّ " لعلّ " في القرآن الكريم يترجح كونها للتعليل لا سيما في رؤوس الآي ، والتعبير عن الغاية ، وذلك لأن قصد التعليل واضح في هذه المواضع التي وردت فيها، وذكر ذلك غير واحد من أهل اللغة والمفسرين ، يقوي ذلك عدة أمور منها:

الأول : إنّ المفسرين ـ على اختلافهم ـ نصُوا على أن كلام الله ـ عز وجل ـ لا ينطبق عليه معنى الرجاء أو التمني أو الشك ، وحتى الذين قالوا بإفادة " لعلّ " الشك أو الرجاء في

([1]) انظر : الكشاف للزمخشري ٢٢٨/١

([2]) انظر : معاني القرآن ، للأخفش ٤٤٣/٢ ، وانظر : المغني ٥٨٠/١

([3]) سورة البقرة ، الآية : ٥٢

([4]) سورة البقرة ، الآية : ٥٣

آيات بأعيانها إنما أوّلوا ذلك بتوجيهه إلى قصد المخاطب ، وقد ذكر سيبويه ومن تبعه ـ كما وضح في هذا البحث ـ في تأويل قوله تعالي: ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[1] أي كونا على رجائكما في الخطاب ، إذ لا يجوز أن يكون اللهُ ـ جل وعلا ـ شاكا أو راجياً أو متمنياً فما شاء الله كان ، وكلامه مقطوع العلم به ؛ لذا ذهب كثير من المفسرين واللغويين إلى إفادة " لعل" التعليل في كلّ ذلك ونحوه .

الثاني : اتفاق قطبي النحو (البصرة والكوفة) في كون " لعلّ " تأتي للتعليل ، وقد ظهر ذلك في حمل الأخفش والكسائي " لعلّ " على التعليل بمعنى اللام أو حتى . تقول : اعمل عملك لعلك تأخذ أجرك ، أي ، لتأخذه ، ووافق الأخفش والكسائي آخرون كما وضح في مباحث هذه الدراسة ، فحملوا " لعلّ " على " كي " مرة و " لام التعليل " مرة، و " متى " ثالثة .

الثالث : صحة التأويل بحمل " لعلّ " على التعليل ، إذ يجوز في نحو ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[2] و ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[3] ونحوه تقدير : (لتشكروا و لتهتدوا) فإن جاز ذلك فهو أولى من الرجاء ؛لأن هذا التقدير محل إجماع ، يدعم ذلك فهم العرب من نحو (افرغ لعلنا نتغدّى) ، أي ، " لنتغدى " ، وحتى الذين منعوا ذلك ـ مذهب الأخفش ـ

---

(1) سورة طه ، الآية : ٤٤

(2) سورة البقرة ، الآية : ٥٢

(3) سورة البقرة ، الآية : ٥٣

فقد اضطروا أحياناً لحمل " لعلّ " على التعليل ، ففي قوله تعالى: ﴿ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴾[1] لم يجد أبو حيّان بُداً من القول : (وكأنه تعليل للبناء والاتخاذ)[2].

الرابع : مما يقرب كون " لعلّ " للتعليل في الفواصل أنّ بعضهم قرأ قوله تعالى : ﴿ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴾[3] (كي تخلدون)[4]

الخامس : وهو وجه يسنده النظم القرآني ، فقد يقول قائل : إنّ للتعليل أدواته مثل (كي ولام التعليل) ، وللغاية أداتها (حتى الغائية) ويجوز استخدام هذه الأدوات مع كل فعل وردت معه " لعلّ " فلِم العدول عنها إلى لعلّ ؟

أقول ـ والله أعلم ـ إنّ " لعلّ " امتازت على (كي ، ولام التعليل ، و حتى) بما يؤهلها للدخول على هذه الأفعال بدلاً عنها تلك الميزة في " لعل " ثبات نون الرفع في الأفعال التي شكلت أخبارها (وهي الأفعال الخمسة) حال دخول " لعلّ " عليها الأمر الذي تحققت معه رعاية الفاصلة القرآنية في نحو (لعلكم تشكرون ـ لعلكم تهتدون ـ لعلكم تفلحون....) بينما لا يتحقق ذلك بدخول " كي " أو " اللام " أو " حتى " لأن النون تحذف منها علامة لنصب تلك الأفعال ، وهو الأمر ذاته الذي فسر به أكثر من

---

(1) سورة الشعراء ، الآية : ١٢٩

(2) انظر : البحر المحيط ، لأبي حيان ١٧٨/٨ .

(3) سورة الشعراء : الآية ١٢٩

(4) وهي قراءة عبد الله أوردها صاحب البحر المحيط ، انظر : البحر المحيط ١٧٨/٨

لغوي ونحوي مقتضى التكرار في نحو قوله تعالى : ﴿ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[1]. قال الكرماني : (... كرّر لعل رعاية لفواصل الآي إذ لو جاء بمقتضى الكلام لقال ، لعلي أرجع فيعلموا بحذف النون عن الجواب ... فمقتضى الكلام لعلهّم يعرفونها فيرجعوا)[2].

وبذا تنفرد " لعلّ " في المواضع السابقة (رؤوس الآيات) بمزيتين اثنتين ، أما الأولى فمعنوية ، وهي إفادة التعليل ، وأما الثانية فلفظية وهي رعاية الفاصلة ، بينما (لام التعليل ، وكي ، وحتى) لا تحصل معها ـ بالضرورة ـ رعاية الفاصلة .

([1]) سورة يوسف ، الآية : ٦٢

([2]) انظر : أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان ، محمود بن حمزة بن نصر ، أبو القاسم برهان الدين الكرماني (ت : ٥٠٥ هـ) ، تحقيق : عبد القادر أحمد عطا ، مراجعة وتعليق : أحمد عبد التواب ١٤٩/١

الخاتمـــة

الحمد لله الذي أعانني على إتمـام هذا العمل المتواضع ، خدمة لكتاب الله ـ عـز وجـل ـ ولغة القرآن ، وإني لأرجو منه تعالى القبول وأن يرفـد ما قدمت قضية التأصيل الذي ننشـد ، كما أرجو أن يسـهم هذا البحث في معالجـة بعـض قضايا " لعلّ " بالإجابة عن بعض الاستفهامات العالقة لا سيما عن ورود هذا الناسخ الحرفي في القرآن ، من نحو هل يجوز أن يكون من الله ـ عز وجل ـ الترجي أو الشـك أو الإشـفاق ؟ ثم كيف عـالج المتقدمون من مفسرين ولغويـين ومعربي القرآن هذه القضية.

ولقد جـاءت هذه الدراسـة كما ورد في مقدمتها في خمسـة مباحث وخاتمـة وخرجت بالنتائج التالية :

١/ لا يجوز في حق الله ـ عز وجل ـ أن يكون متعجباً أو مشـفقاً ، فلذا ذهب المفسرون واللغويون في تأويل دلالة " لعلّ " في التنزيل مذهبين :

الأول : صرّفها لمعانٍ ـ عـدا الرجـاء والإشـفاق ـ كالتعليل ـ وهـو الغالب ـ والاستفهام والتشبيه وغيره .

الثاني : صرف " الرجـاء " فيها و " الإشـفاق " إلى المخاطب الذي يـــدور بصـدده الكلام وقد ظهر ذلك في آيات بأعيانها نحو قوله تعالى﴿ لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ الآية : ٤٤ من سورة طه ، صرفوا دلالة " لعلّ " فيها إلى موسى عليه السلام وأخيه أي إذهبا برجائكما .

٢/ لم تـرد " لعل " ـ في جميع القرآن ـ إلا على لغة واحده من بين (اثنتي عشرة) لغة فيها ،اللهم إلا ما جاء من قراءة الفتح في " أنها " من قوله تعالى :﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا

يُؤْمِنُونَ ﴾ ، الآية ١٠٩ من سورة الأنعام ، فقد ذهب كثير من المفسرين ومعربي القرآن إلى "أن " هنا بمعنى " لعل " وهي لغة فيها .

٣/ الغالب في" لعلّ " في القرآن ورودها في فواصل الآيات ورؤوسها ، فقد شكلت ناسخاً حرفياً في (خمسة عشر ومائة) موضع في رؤوس الآيات من جملة ثلاثة وثلاثين ومائة موضع لها في جميع القرآن وهو أمر عولج بالتفصيل في موضعه من هذه الدراسة .

٤/ لم يأت حبر " لعل " في جميع القرآن (فعلاً ماضياً) مع كونه غير ممتنع في سعة الكلام ولا في الشعر ، غير أنه ليس في كثرة المضارع ، مما يدل علي مجيء النص القرآني ـ دوما ـ على أقوى الوجوه في الاستخدام الفصيح .

٥/ لم تلحق " نون الوقاية " لعل في كل موضع اتصلت فيه بالياء في القرآن الكريم ، جريا على الوجه الأقوى ، فجاءت كلها " لعلي " مع جواز " لعلني " في الكلام العربي (شعراً ونثراً) غير أن عدم الاقتران هو الأكثر .